دراسات فی العلوم الإنسانية
۳۲(۴)، الشتاء ۱۴۴۷/۱۴۰۴/۲۰۲۶، صص ۱۱۷-۱۴۴
ISSN: 2538-2160
http://aijh.modares.ac.ir
مقالة محكمة

طغيان الرأسماليّة وسيادة الرجل والحكومة في رواية «بريد الليل» لهدى بركات وفق تحليل الخطاب النقدي لميشيل فوكو

أحمد عارفي[1]*، حبيب الله يزداني[2]

١- دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائي، طهران، إيران
٢- مدرس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة فرهنگيان، بجنورد، إيران

تاريخ الاستلام: ١٤٤٦/٠٩/٠٢ تاريخ القبول: ١٤٤٧/٠٣/٠٢

الملخص

يدرس تحليل الخطاب النقدي علاقةَ اللغةِ والمجتمعِ والسلطةِ الديالكتيكيةَ على صعيد الممارسات الاجتماعية بين الناس وفق إيدئولوجيتهم. يعدّ فوكو من أبرز منظري تحليل الخطاب النقدي الذين أسهموا في إبداع تحليل الخطاب النقدي، فأورد مفهوم السلطة في تحليله النقدي للخطاب. فيرى أن الخطاب وسيلة السلطة من خلال العلاقات الاجتماعية. وحينما تكون السلطة في خطاب أحد الطرفين، فإن المقاومة تظهر عند الطرف الآخر. تروي رواية «بريد الليل» حكايةَ المتشردين المهاجرين اللبنانيين نتيجة الظروف الاجتماعيّة والسياسيّة الحاكمة على لبنان وتنقد استبداد حكوماتها وسيادة الرجل والرأسماليّة التي تنزل منزلة الفقراء. تدرس هذه المقالة إيدئولوجيا رواية «بريد الليل» بطريقة المنهج الوصفي التحليلي مستعينا بتحليل الخطاب النقدي لفوكو لتستنتج أن الرواية تعكس السلطة والمقاومة من قبل طرفي الخطاب بالأساليب المتنوعة المتناسبة مع إيدئولوجيا المتكلم، لإظهار تشريد اللبنانيين وغربتهم ومصائبهم والظلم عليهم من قِبَل الحكومات وعلى النساء من قِبَل الرجال إثر طغيان الرأسمالية والسعي إلى إزالة سيادة الحكومة والظلم على النساء وسيادة الرجل، من خلال استخدام التشبيه كأبرز أسلوب الرواية والنداء والتكرار وغير ذلك لاشتراك المواطنين اللبنانيين في شدّة الآلام والحقارة والظلم والفقر والتشريد. فحرّكت الروائية قلوب اللبنانيين ضد سيادة الحكومات والرأسمالية وقلوب النساء ضد سيادة الرجال، فتدعوهم إلى الاتحاد والمقاومة والثورة على الاستبداد بسبب هذه الآلام المشتركة، كما تدعو النساءَ إلى الاتحاد والثورة ضد سيادة الرجال إثر الرأسمالية، ليحصل اللبنانيون ولاسيما النساء على الحياة المترفة. والرأسماليّة وسيادة الرجل والحكومة عوامل مؤثّرة تشكّل الخطابَ الغالبَ في الرواية وفق الظروف التي اضطرت الروائيةَ إلى تشكيل خطابها الرئيس. فتحاول أن تغير الأيديولوجيا السائدة باللغة الخطابية التي تظهر من خلال المفردات والتراكيب إلى أيدئولوجيا جديدة تعارض قيمَ الرأسماليّة وسيادة الرجل والاستبداد الحكومي.

---

*الكاتب المسؤول: Email: ahmad.arefi@yahoo.com

الكلمات الرئيسة: هدى بركات، رواية «بريد الليل»، ميشيل فوكو، تحليل الخطاب النقدي، الإيدئولوجيا

١. المقدمة

يبحث تحليل النقدي للخطاب عن العلاقة الجدلية بين اللغة والمجتمع والسلطة في صعيد الممارسات الاجتماعية بين الناس وأصحاب السلطة الذين قاموا بتنفيذ وإجراء السلطة في سياق المجتمع ووفق ظروفه على الذين تحت السلطة، من خلال اللغة والخطاب. يعد فوكو من الذين أسهموا في إبداع تحليل الخطاب النقدي، فيدرس اللغة والسلطة والمجتمع وعلاقتها معا. فيرى أن اللغة والخطاب آليات تنفيذ السلطة. فالسلطة عنده نقطة بؤرية، يرى أنها شبكة من العلاقات الاجتماعية بين الناس، فعلاقة السلطة للمجتمع ضرورية لئلايتلاشى، فليست السلطة سلبية فحسب، بل وإنما إيجابية تنمو المجتمع من خلالها. وتظهر هذه السلطة من خلال قناعات وعوامل مختلفة وفق عقيدته كالدين والمعرفة والتكنولوجيا والحكومة والرأسمالية وغير ذلك. حازت رواية «بريد الليل» لهدى بركات جائزة بوكر العربيّة عام ٢٠١٩م وتحكي الروائية فيها حكاية المتشردين المهاجرين اللبنانيين نتيجة الظروف الاجتماعيّة والسياسيّة الحاكمة على لبنان كاستبداد الحكومات وسيادة الرجل والرأسمالية التي ترفع منزلة الأثرياء وتنزل منزلة الفقراء، فتأخذ هويتهم الإنسانية، وتنقد هذه الظروف السائدة.

١-٢. أهمية البحث والأسئلة ومنهجه

تتجلى أهمية البحث في أن فوكو يمثل بين اللغة والاجتماع والسلطة ارتباطا وثيقا، بعد أن يشاهد مواجهة البشر مع ظروف المجتمع وصراعاته التي اضطرته باستخدام اللغة المتناسبة هي والظروف. فيهدف هذا البحث إلى دراسة إيدئولوجيا رواية «بريد الليل»، وتأثير الخطاب في تنفيذ السلطة، وإظهار البنيات السلطوية ونقدها، وكيفية تنفيذ السلطة بواسطة القناعات التي تُنفَّذ السلطة على طرف في الخطاب، حسب المنهج الوصفي التحليلي مستعينا بتحليل الخطاب النقدي لفوكو. فمن الأسئلة التي نحن بصدد الإجابة عنها في هذا البحث:

١. ما الإيدئولوجيات الكامنة في رواية «بريد الليل» لهدى بركات وفقا لنظرية فوكو التحليل النقدي للخطاب؟
٢. ما العوامل المؤثّرة في تشكيل الخطاب الغالب وإظهار السلطة في هذه الرواية وفق تحليل الخطاب النقدي لفوكو؟
٣. ما أبرز أسلوب في تشكيل خطاب الروائية الرئيس وفقا للتحليل النقدي للخطاب لفوكو؟

٣-١. الدراسات السابقة

نشير باختصار إلى الدراسات المنجزة حول نظريّة تحليل الخطاب النقدي لنورمن فيركلاف ورواية «بريد الليل»:

١. مقالة «تناسق العتبة والحبكة فى رواية "بريد الليل" لهدى بركات دراسة تحليلية سيميائى» (١٤٠٢ش) لزهرة قرباني مادواني وزهرا سليماني في مجلة اللغة العربية وآدابها بجامعة فردوسى مشهد، واستنتجتا أنّ الروائية تشير إلى الأزمات المعقدة في البلاد العربية التى لا تحل بسهولة. فعلى القارئ أنّ يحلل الألغاز التى لا تقوم الروائية بحلها ويسبب هذا الأمر تفاعلية الكاتب والقارئ ويقلل من هيمنة الكاتب على النص.

٢. مقالة «الكرنفال في رواية بريد الليل لهدى بركات» (١٤٠١ش) لفاطمة أكبري زاده في مجلة الجمعية العلمية الإيرانية في اللغة العربية وآدابها. تدرس المقالة بالمنهج الوصفي التحليلي العناصر الكرنفالية واستنتجت أن الرواية ترسم عبر لغة الرسالات الرسمية، لغة الشخصيات المتعددة الغيرية الشاذة بالتعددية اللغوية خلال الخطاب الثنائي الصوت في التعارض مع السلطة.

٣. مقالة «تجليات الميتاسرد في رواية بريد الليل لهدى بركات» (١٤٠٠ش) لسميّة خداوردي والآخرين الذين بحثوا عن الميتاسرد وتجلياتها في هذه الرواية وأشاروا إلى أن بركات تريد أن تدخل القارئ المفترض في النصّ للبحث من خلال تخطيب المخاطب عن التفاعل بين المؤلّفة والقارئ للتحفيز على المشاركة في بناء الرواية.

٤. رسالة الدكتوراه «تحليل رمانهای "ساق البامبو" اثر سعود السنعوسی و" وطن من زجاج" اثر یاسمینه صالح براساس گفتمان قدرت میشل فوکو» (١٣٩٩ش) لسولماز پرشور تحت إشراف مهين حاجى زاده التي تناولت الروايتين وفق تحليل الخطاب النقدي لفوكو وادعت أن السلطة تلعب دورا أساسيا في هاتين الروايتين.

٥. مقالة «بررسي روايت اپيزودي در رمان بريد الليل از هدى بركات» (١٣٩٩ش) لعلي پيراني شال والآخرين الذين درسوا السرد وادعوا أن هذه الرواية رواية مابعد حداثية معتمدة على المراسلات واستخدام طريقة التدخل في مستويات السرد متناسبا مع السرد الإبيزودي، وتتشابك الرواية على المضمون الشمولي العام وهو التشريد والغربة.

٦. رسالة الماجستر «تحليل گفتمان رستم در شاهنامهی فردوسی طبق نظريهی قدرت فوكو» (١٣٩٦ش) لطاهره شيرخدا تحت إشراف شهلا خليل الهى التي تناولت تحليل خطاب رستم في كتاب شاهنامه لفردوسي وفق نظرية السلطة لفوكو واستنتجت أن السلطة في كتاب شاهنامة لفردوسي تجلت مباشرة.

رغم كثرة الدراسات حول نظريّة فوكو ورواية «بريد الليل»، لمتدرس رواية «بريد الليل» وفقا لتحليل الخطاب النقدي لفوكو على حد ما علمنا، فهذه المقالة أول مقاله تدرس إيدئولوجيا رواية «بريد الليل» وفقا لتحليل الخطاب النقدي لفوكو المشارة إلى سيادة الرجل والرأسمالية ونقدهما نقدا نسويا وثقافيا لميشر إليهما أي دراسة في هذه الرواية.

٢. تحليل الخطاب النقدي لميشيل فوكو[1]

تحليل الخطاب منهجٌ وفقَ دراسة اللغة التي نستخدمها للتواصل أو للإقناع والحجاج للتأثير على الآخرين(عياشي، ٢٠٠٢: ٩١؛ الحمداوي، ٢٠١٤: ٣٣). ويهدف إلى«الوقوف على دلالات النص الأكثر عمقا، وإعطاء النص القراءة الدلالية الأدق، غير أننا متأكدون مبدئيا من أن تلك القراءة لن تكون نهائية؛ لأنها قراءة تجرنا إلى قراءات أخرى تتحكم فيها ظروف الخطاب الأولى، كما تتحكم فيها ظروف القراءة وعليه فسيغدو تحليل الخطاب آلية تتجاوز مقاصد المؤلف، لتقتحم النص في عمقه لتكشف دلالته التي ربما أسقطها المؤلف ولم تخطر بباله، فهو لم يقلها، ولكن النص قالها» (خالفي، ٢٠١١: ٢٧)؛ لأن قطع الصلة بين النص والمؤلف يحقّق أدبيّة النص الّتي جعلها الشكلانيون والبنيون غاية للنص الأدبي، المستمدة من انفتاحه على تأويلات عدة تتحكم في مستقبل النص وحياته المتوقفة على قدرته على قبول إعادة التأويل(نفس المصدر: ٢٨؛ بركة والآخرون، ٢٠٠٢: ٣١).

تحليلُ الخطابِ النقديُّ «دراسة استخدام اللغة في وراء حدود الجملة، أي: دراسة العلاقة المتقابلة بين اللغة والمجتمع، دراسة الخصائص التعامليّة والتحدثيّة في العلاقات اليوميّة» (فاضلي، ١٣٨٣: ٥)، فيدرس اللغة والظروف الاجتماعيّة والثقافية والسياسية؛ لأن «اللغة جزء من الحياة الاجتماعيّة لايمكن اختزالها، وبينها وبين عناصر الحياة الجتماعية الأخرى علاقةٌ منطقيةٌ جدليّةٌ تجعل من الضروري أن يأخذ البحث والتحليل الاجتماعي للغة، دائما بعين الاعتبار... فما تحليل الخطاب سوى استراتيجيات عديدة في التحليل. ومن المفيد دائما استخدام تحليل الخطاب مع أشكال أخرى من التحليل كمبحث الأعراق والثقافات أو أشكال دراسة المؤسسات» (فيركلاف، ٢٠٠٩: ١٩-٢٠)، وعلى «الكاتب أن يستعمل جملة من المستويات اللغوية التي تناسب أوضاع الشخصيات الثقافية والاجتماعية والفكرية؛ بحيث إذا كان في الرواية شخصيات: عالم لغوي وصوفي وملحد وفيلسوف وفلاح ومهندس وطبيب وأستاذ جامعي.. فإن على الكاتب أن يستعمل اللغة التي تليق بكل من هذه الشخصيات» (مرتاض، ١٩٩٨: ص١٠٤).

يعد فوكو من أبرز رواد تحليل الخطاب النقدي الذي أورد مفهوم السلطة في تحليله النقدي للخطاب ضمن الظروف الاجتماعيّة؛ لأن المعنى في خدمة السلطة(نفس المصدر: ٣٦)، ويولد من التفاعل بين المؤلف، والنص، والقارئ، وكل العناصر الثلاثة يفسّر النص ويعطي النص معان مختلفة عن غيره(نفس المصدر: ٣٨-٣٩)؛ ولأن الخطاب أيدئولوجيا من وراء فرض السلطة والقدرة. فيتكمن له أن يتغيّر العالم بأسره. فتكمن أهميّة الخطاب واللغة وما يلعبه من دورٍ في تغيير العالم في هذا الأمر الّذي يرتبط بهجوم الأمريكيين على العراق عامَ ٢٠٠٣م. فيلعب الخطاب دوراً مهمّاً في هذا

1. Michel Foucault

الهجوم، حيث ألقى الأمريكيون خطابا أشاروا إلى أن صدّام حسين ليس إلّا إرهابيّا يملك السّلاح الكيمياويّ، فيهدّد وجوده العالم بأسره. ثم ترسّخت هذه الفكرة في العالم بعد هذا التأكيد في كافّة الخطابات للمسؤولين الأميركيين، وقبلها الرّأي العامّ، فلهذا شاهدْنا مشاركةَ أكثر البلدان والقوى العالميّة والحلف الأطلسي في هذه الحرب؛ لأنهم كانوا يعتقدون بأنهم إذا لميشاركوا في هذا الهجوم قد يجعلون العالم في موقف حَرِجٍ ويرتكبون جريمة، ربّما تساوي جريمة صدّام حسين. فبهذا الاستخدام للخطاب استطاعت الولايات المتّحدة تغييرَ فكر المجتمع العالمي، وهكذا استطاعتْ أن تفرضَ هيمنتها، وتخفّض نفقات الحرب لصالحها(ميرحاجي ومسگر، ١٤٤٢ق: صص٣٠٧-٣٠٨). فـ«للغة والخطاب تأثير بالغٌ في ظهور أيديولوجيا جديدة، كما أدرك هتلر تمام الإدراك أهميّة اللّغة وشأنها في قيادة الشّعوب فقال كلمته المشهورة في كتابه «كفاحي»: إنّ من يملك السّيطرة على الكلمة المنطوقة هو القادر حقّاً على تملّك زمام الأمور. ومن أجل هذا أسّس في بدء حكمه منظّمتَه المشهورة في «الدعاية» عن طريق الصّحف والنّشرات حيناً وعن طريق الإذاعة أحيانا» (المصدر نفسه: ٣٠٦).

فيمثل تحليل الخطاب النقدي لنا طرائق تنفيذ السلطة وتوظيفها والمقاومة على الناس والنساء من قبل السياسيين وأصحاب السلطة في السياق الاجتماعي وفق اعتقاد فوكو بأن كلما توجد السلطة توجد المقاومة، فتفقد السلطةُ معناها ومصداقيتَها دون وجود المقاومة؛ لأنهما تصاحبان معا في كل المجتمعات بين الناس. كما يعتقد أن «السلطة موجودة في كل العلاقات الإنسانية، سواء كانت هذه العلاقة تنشأ باللغة، أو كانت علاقة رومانسية، أو كانت علاقة اقتصادية، ففي كل هذه العلاقات يحاول أحد الطرفين السيطرة على الطرف الآخر وإخضاعه. .. لكن هذه العلاقات ديناميكية وقابلة للتغيير وليست ثابتة إلى الأبد. على سبيل المثال، إنني أكبر منك سنّا قد تخيفك، ولكن يمكن عكس هذه الحقيقة خلال هذه المحادثة، مما يؤدي إلى تخويفي على وجه التحديد لكونك أصغر سنًا. لذا فإن علاقة القدرة هي في الأساس متحركة وقابلة للعكس وقابلة للتغيير... وأود أن أقول أيضًا أن علاقة القدرة تتطلب أن يتمتع كلا الطرفين بدرجة من الحرية. وحتى لو كانت علاقة القدرة غير متوازنة على الإطلاق، فمن الممكن أن يمارس واحد الطرفين سلطته على الآخر إذا كان لدى الطرف الآخر على الأقل احتمال الانتحار أو إلقاء نفسه من النافذة أو قتل الطرف الآخر. وهذا يعني أن علاقات القدرة لديها دائما إمكانية المقاومة، فإذا لميكن هناك إمكانية للمقاومة بشكل استخدام القدرة والحرب واللجوء إلى الخداع أو أي وسيلة يمكن أن تعكس علاقة القدرة، فلميعد بالإمكان أن نتحدث عن علاقة القوة بعد، فتنظم السلطة علاقة بين الأب والابن أو الزوج والزوجة وغير ذلك، فيحظي الأب والأمّ سلطة تجاه أولادهما أو يحظي المعلم والأستاذ سلطة تجاه طلابهم وتلاميذهم لاتؤدّي إلى الكبت والقمع، بل تسوق إلى النّموّ والازدهار، فتسبب هذه السلطة نمو الأبناء والتلاميذ وتطورهما. وكلما وجدت السلطة، وجدت المقاومة أيضا. فعلى هذا الأساس

ليست السلطة سلبية فقط عند السياسيين في قمع البشرية واستعبادهم، بل لها جوانب إيجابية يجب أن توجد في المجتمع لتشكّل المجتمع وتطوّره» (عارفي، ٢٠٢٤م: ٥٥). كما يرى أن «جميع العلاقات الاجتماعية هي علاقات استراتيجية، أي علاقة يحاول فيها أحد الطرفين توجيه وتشكيل تصرفات الطرف الآخر ووضعه في النهاية تحت قدرته، سواء كانت هناك القدرة في العلاقة أم لا» (المصدر نفسه: ٥٦). وتعتبر الطبقة السائدة والطبقة تحت السلطة كلتيهما جزءي شبكة السلطة بقدر مساو. وعلاقة السلطة ضرورة للحياة الاجتماعية وإلا تتلاشي هذه الحياة دونها. وليست السلطة ذا وجه واحد، بل تظهر بأشكال الانقياد والسلطة تحت قناعات الرأسمالية والحكومة والعلم والتكنولوجيا والمعرفة والدين والطب وعلم النفس وما إلى ذلك. فوفقا لهذا إن السلطة تتبادل بين طرفي الخطاب من الأعلى إلى الأسفل ومن الأسفل إلى الأعلى، إمّا بين الوالدين والأبناء، وإما بين المعلم أو الأستاذ والتلاميذ أو الطلاب، وإما بين الأطباء والمرضى، وإما بين الصديقين أو بين الحبيبين أو بين الزوجين أو بين رب العمل والعُمّال وما إلى ذلك.

٣. رواية «بريد الليل» لهدى بركات

يغلب على رواية "بريد الليل" لهدى بركات السرد بالنسبة إلى الحوار والوصف؛ لأن «الرواية هي سرد، قبل كل شيء وفيها تكمن ثقافات إنسانيّة وأدبية مختلفة» (يوسف، ٢٠١٥م: ٢٧ و٣٧)، وتتناسب كثرة السرد مع هذه الرواية الّتي «تسرد فيها الروائيّة حكايات أصحاب الرسائل التي كتبوها وضاعت مثلهم في البحر؛ وتقدّم فيها الكاتبة رؤية أكثر عمقاً حول أوضاع مهاجري البلاد العربيّة التي غادروا بلادهم بسبب الحرب والفقر واستعرضت المشاكل التي تواجههم في البلاد المغتربة وهكذا تستخدم الخطاب الوصفيّ برصد عوالم الكتابة الحقيقيّة والافتراضيّة وتبيان هواجسهم الشعوريّة واللاشعوريّة» (خداوردي والآخرون، ١٤٠٠: ٥٧).

تدور أحداث الرواية على خمس رسائل لأشخاص تشبه حكايات المتشردين اللبنانيين الذين أُضطروا بسبب الحرب والفقر بالمهاجرة إلى البلاد الأوروبيّة لَتَوَفُّرِ الحياة الرفاهيّة ولكن أصاب رجاءهم باليأس بسبب عدم توفر هذه الحياة الرفاهية في هذه البلاد، فواجهوا مع الفقر الأكثر والمصيبة، فصاورا متشردين أو متكدين أو خادمين للأثرياء أو المتجاوَزين على أيدي الأثرياء. و«توظّف فيها الروائية ضمير المتكلم في سردها، لتجعل الرواية قريبة من السيرة الذاتيّة وتتدخّل بصورة مباشرة في سير الأحداث» (المصدر نفسه: ٥٧)؛ لأن «السارد العليم في الرواية يعلم بواطن الأحداث ويشارك فيها مع ضمير المتكلم وضمير المخاطب ويقترب الراوي من المؤلّف فيسيطر على الأصوات المسموعة أثناء أحداث الرواية ويهيمن عليها. فإن ضمير التكلم يأتي في الخطاب السرديّ شكلاً دالاً على ذَوَبان السّارد في المسرود، والزمن في الزمن، والشخصيّة في الشخصيّة ثم ذوَبان الحدث في الحدث، ليغتدي وحدة سرديّة متلاحمة تجسد في طياتها

كل المكونات السرديّة بمعزل عن أي فرق يبعد هذا عن هذا» (مرتاض، ١٩٩٨: ١٦١).

تسرد الرسالة الأولى اعترافاتِ مهاجرةٍ شخصيّةً تعاطي المخدّرات، وأشارت إلى معاناة المهاجرة وحسّ انعدام الأمن. وتتناول الرسالة الثانيّة حياة امرأة مسنة تهاجر إلى بلد آخر لتسكين آلامها ولكن عادت إلى بلدها بعد اليأس عن وعود الشركات السياحيّة الكاذبة. والرسالة الثالثة اعترافات شخص مثالي يتهمّونه ويسجنونه ويحقّرونه دون ارتكاب ذنب حتّى يتحوّل إلى شخصٍ يخدم مصالح السجانين ويحسّن رذائلهم وجرائمهم، حتى يثوروا المسجونون، فيفرّ هذا الشخص ويهاجر إلى البلاد الأوروبية، فيواجه مع امرأة مسنة ثرية تعينه وتذهب به إلى بيتها حتّى يقتلها ويسرق أموالها بسبب فساد المجتمع الذي تحولت الشخصيّة المثالية إلى الشخصيّة الفاسدة. والرسالة الرابعة رسالة مهاجرة تقتل أمها لظلمها. وأما الرسالة الخامسة فحكايّة امرأة عوراء شاردة مريضة تكتب رسالتها إلى أبيها لطلب المعونة.

وتحكي الروائية في الفصل الآخر شخصيّةَ البوسطاجي كرمز التواصل في البريد، الذي مات في النهاية للإشارة إلى تعمق الهوة بين الشخصيات المرسلة، وأصحاب الرسائل، وأشارت الروائية بعد موت البوسطاجي إلى انقطاع أفق التواصل في زمن العولمة عن طريق وسائل التواصل الإلكتروني في العصر الحديث الذي ربط فوكو وليوتار موت البشر إلى هذه الوسائل التواصليّة الإلكترونيّة والتكنولوجيا، ويعتقدان أن إنسان العصر الحديث يموت في يوم واحد عدة مرات؛ لأنه يعاني من سيطرة النظامين الشرقي والغربي، فتتحول الحياة بسببها إلى عالم مليئ بالتمايل إلى شهوات الرأسماليين الذين لايشبعون أبدا، فأعلن هذا الإنسان موته لإدراكه أن هذه الوسائل والتكنولوجيا أدّت إلى ضرره وهلاكه(فوكو، ٢٠٠٧م: ٧٣-١٠٠).

٤. التحليل النقدي للخطاب في رواية «بريد الليل» وفق نظريّة ميشيل فوكو

شهدت البلاد العربية خاصة لبنان حروبا وفوضويات مختلفة بعد الحربين العالميتين، فتؤدّي هذه الفوضويات إلى تدمير البنيات التحتية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للبنان، فأصابت بالفقر وتؤدّي إلى إيجاد المجتمع الطبقي بين الفقراء والأثرياء الذين يجعلون الفقراء خادميهم وإلى مهاجرة اللبنانيين إلى بلاد أوروبا للحصول على الأموال والحياة الأفضل من خلال الخدمة عند الأثرياء والتكسب، فتؤثر هذه الظروف والفوضويات والحروب على الروائية وإيدتولوجياها وتشكيل خطابها الرئيس ونقد السلطة الحاكمة على لبنان، فتبين إيدئولوجياها من ضمن الخطابات التي تعكس تضادات لبنان الطبقتية وظروفها السياسية والثقافية الأخرى كالحروب التي اضطرت الشخصيات الروائية فيها بالمهاجرة نتيجة نظام الدكتاتورية، والحروب، والفقر، وتحويل الإنسان إلى أحقر موجود أساء أصحاب السلطة استخدامهم في سبيل تحقيق مصالحهم الشخصية. فتعكس هذه الرواية بنوع نظام لبنان الاجتماعي والسياسي والثقافي كالفقر والخدمة بالأثرياء

نتيجة الفقر، وسيادة الرجل. فيمثل إطار الرواية هذه التضادات الطبقية بين الرجال والنساء وبين الأثرياء والفقراء في المجتمع اللبناني، فتحاول الروائية مع خطابها الروائية أن تزولها عن المجتمع اللبناني. وتقوم بإيجاد المنزلة الاجتماعية والثقافية للنساء مساوية مع منزلة الرجال الاجتماعية والثقافية.

فاستخدمت الروائية لبيان الإيدئولوجيا ونقد السلطة الحاكمة على لبنان، الأساليب والكلمات المتناسبة مع إيدئولوجيتها، فتوحي بنية وألفاظ هذه الرواية الرئيسة بمعان سلبيّة تصوّر لنا الحالة التشاؤميّة، فتبين لنا الفساد الاجتماعي والتضاد الطبقي بين الرجال، والنساء، والأثرياء، والفقراء، وسيادة الرجال والأثرياء والحكومات على النساء والفقراء ومواطنيهم من خلال الأساليب الخبرية والإنشائية، فاستخدمت الأساليب الخبريّة في السرد غالبا وأحيانا في الوصف أو الحوار عند الشخصيات مع القارئ الافتراضي أو أنفسها لإظهار منتهى التفرد والسلطة؛ لأن الأساليب الخبريّة تتناسب في الغالب مع السرد لسرد الأحداث الروائيّة، فالسرد إخبار، والأساليب الخبريّة للإخبار. فنرى أن السرد والوصف كثيران جدا فيها، وأما الحوار فقليل جدا؛ لأن الحوار يعارض الديمقراطية والسلطة السلبية، فتتناسب قلة الحوار مع غلبة السلطة السلبية على الرواية. فمن القناعات أو الأقنعة التي تظهر السلطة في هذه الرواية وفق عقيدة فوكو:

١-٤. النظام الرأسمالي

تعد «الرأسمالية في نظر الأتباع المخلصين للماركسية المبسطة الشعبية، هي السبب الحقيقي الأول لجميع آلامنا ومصائبنا، وإليها يعزون جميع مظالم المجتمع وسائر العيوب في نظمه الحياتية من اقتصادية وسياسية واجتماعية وأخلاقية» (بيرو، ١٩٥٣م: ٣-٤). وقد عرف لينين أن الاستعمارَ أعلى مراحل النظام الرأسمالي، فالعامل الاقتصادي الهام في هذه العملية هو قيام الاحتكارات الرأسمالية مكان منافسة الرأسمالية الحرة. فإن المنافسة الحرة نعد بوجه عام صفة أساسية كما أم الاحتكار فقبض المنافسة(لنين، لاتا: ص٩٥). فالرأسمالية ذات سلطة على الفقراء الذين يحكم الأثرياء عليهم، ويحقرونهم، ويجعلونهم خادميهم، حيث حدث صراع بين الأثرياء والفقراء.

تدرس الروائيّة في رواية «بريد الليل»، النظامَ الرأسمالي والمصائبَ التي يسببها، فتعرفه أداة سلطة من قِبَل الأثرياء، فترى أن الرأسمالية ذات سلطة على الفقراء الذين يحكم الأثرياء عليهم، ويحقرونهم، ويجعلونهم خادميهم، فتسعى إلى كسر الظروف السائدة في الرأسمالية، وإلى تغيير هذه الظروف من خلال تحوّل ثقافة المجتمع، حتّى ترفع فيه منزلة الفقراء وتجعلهم في مرتبة الأثرياء، حيث تراعي بينهم المساوات.

أشارت الروائية من لسان امرأة حول رجل ثري في موقف إلى أن المرأة المهاجرة كانت تذهب إلى فندق أوروبي لتخدم فيها لتكسب مالا لتوفر حياة مترعة باللذة، فتخدم رجلا ثريا عربيا، ولكنه تجاوز عليها وضربها، ومزق ألبستها

ليقوم معها بعلاقة جنسية، ولكنه يواجه مع مقاومة المرأة، فنرى في هذا المقطع تنفيذ الطلطة ووجود المقاومة عند تنفيذ السلطة حسب فوكو: «**بدأ يغازلني بألفاظ نابية، رددت إليه بالعربية لعله يخجل فازداد وقاحة**» (بركات، ٢٠١٩م: ٧٩)، فتظهر السلطة من خلال هذا الخطاب وتشير من خلال «ألفاظ نابية» مع الصفة في كلام هذه المرأة إلى أنّ خطاب الرجل يتم لتنفيذ السلطة والتحكم على المرأة الفقيرة، فتظهر السلطة والسيادة للرجال على النساء في البداية من خلال الخطاب، كما ردّت المرأة بألفاظ دون السلطة ليخجل الرجل الثري، رغم هذا ازداد وقاحته، ولكن المرأة قامت بالمقاومة، ففي فرصة فرّت، وشكته إلى قسم أمن الفندق ومدير الشئون. رغم هذه الشكاية من قبل المرأة عظّم المدير والحراس هذا الرجل الثري المتجاوز كمشتري الفندق ومصدر ثروته، وحقّروا المرأة وطردوها: «**أنتقي الرجل ناعم اليدين. من هذّب أظافره في الصالونات المختصة، فهذا يشير إلى وضعه المالي أكثر من شياكة الثياب... ثمّ هجم عليّ. ضربني بقوّة قبل أن يغتصبني...**» (المصدر نفسه: ٧٩)، فاستخدمت الروائية ألفاظ «هجم، ضرب، قوّة، يغتصبني» للإشارة إلى سيادة الرجال على النساء ومنتهى الظلم عليهنّ مع استخدام كناية «ناعم اليدين» للإشارة إلى الرأسمالية وثروة الرجل ورفاه حياته، رغم إصابة حياة النساء بالفقر والظلم عليهنّ. فنرى في هذا المقطع من الرواية تنفيذ السلطة من قبل الرجل الثري في العلاقة الاجتماعية بين طرفي الخطاب في المجتمع الذي يعطي ويعيّن منزلة اجتماعية لكل من طرفي الخطاب، فجعل واحد منه صاحب السلطة، وجعل الآخر تحت السلطة حسب الظروف. فتمهّد هذه العلاقة الاجتماعية الأرضية لتنفيذ السلطة من خلال قناع الرأسمالية التي يريد الرجل الثري من خلالها التحكم على المرأة، والقيام بالعلاقة الجنسية وإساءة استخدامها؛ لأن الرأسمالية تنتج الحقيقة التي تنتج هذه الحقيقة السلطة ليتحكم الأثرياء على الفقراء.

نرى مقاومة المرأة الفقيرة أيضا وراء سلطة الرجل الثري، حيث لا تسمح له بإنجاز هذا الفعل الشنيع، ففرت. كما نرى إظهار السلطة من خلال هذا الخطاب عند المرأة التي تسرد هجوم الرجل على المرأة الفقيرة، وضربه هذا المرأةَ، وتهديدها وطردها بواسطة مدير الفندق. نرى خلق الحقيقة الجديدة بواسطة الخطاب وفق عقيدة فوكو أيضا، وهذه الحقيقة هي بأن الأثرياء يمكن لهم القيام بالعلاقة الجنسية مع النساء، أو العمل والسلوك بأي شكل يريدونه. وهذا شيء أشار إليه فوكو قائلا أن الخطاب يخلق الحقيقة؛ لأن الحقيقة ليست واحدة، بل تتنوع الحقائق حسب الخطابات، والمؤسسات، والإيدئولوجيات. والحقيقة تنتج السلطة عند الأثرياء على الفقراء بواسطة الرأسمالية أو سيادة الرجل أو الحكومة أو غير ذلک، وفق عقيدة فوكو وما بعد الحداثيين.

يليق بالذكر أن الروائية على لسان الشخصيات النسوية استخدمت ضمير التكلم «ي» أكثر جدا، حيث نستطيع الادعاء أنّنا نجد ضمير التكلم «ي» في كل عبارتها التي تتعلق بالشخصيات النسوية. وهذا الاستخدام الكثير إنّما

للإشارة إلى تفرد النساء وتوحدهنّ في المجتمع وعدم المنزلة لهنّ فيه، في حين أنّ الراوي للشخصيات الذكورية أو جنس الذكر استخدمت ألفاظا وأساليب وضمائر تدلّ على الاشتراك في الاجتماع في سيادة الرجال على النساء وسلطتهم عليهنّ، كما نرى في هذا النموذج الأخير الذي قام الرجل العربي الثري بالعلاقة الجنسية مع المرأة، ففرت بصعوبة، وذهبت عند مدير الفندق وحرّاسه، فهددوها المدير وطردوها من الفندق، حيث يشارك كل من الرجل العربي الثري ومدير الفندق وحرّاسه في السلطة والسيادة على هذه المرأة. فنرى إظهار السلطة هنا في قناع الرأسمالية، كما يرى فوكو أن السلطة تظهر في قناعات مختلفة كالرأسمالية والحكومة وغير ذلك. وكلما توجد السلطة توجد المقاومة.

فتبين الروائية منزلة الشخصيات على أساس المكانة الاقتصادية والطبقية، وتشير إلى سلطة الأثرياء وسقوط الأخلاق، حيث تشير في مقطع آخر إلى أنّ القوانين ليست للأثرياء، بل إنّهم ما فوق القوانين، فيركبها: «**إنّ المال يقفل الأفواه ويمدد المهل، بل يركب القوانين**» (المصدر نفسه: ٢٥). فيربط الرأسمالية بالسلطة، وجعلت هؤلاء الأثرياء مقابل الفقراء الذين يكونون في مصيبة لأجل الفقر، فاضطرهم الفقرُ بخدمة الأثرياء، وتحمّل الحقارة؛ لأن الرأسمالية تخلق هذه الحقيقة بأن الأثرياء ما فوق القوانين؛ لأنهم هم الذين وضعوا القوانين للفقراء كمعايير للعمل وفقا لها، فيعمل القانون للفقراء، كما يروي الراوي: «**المرأة التي عملتُ في بيتها لازياد حاجتي لأجل البنت، لمتكن تطيقني، بل لمتكن تطيق البشر، صفعتني مرة وسكتّ. قالت إنيّ في غيابها تبولتُ في حمامها، لا في حمام الخدم. كانت لذتها إذلال الناس، حتّى زوجها. وربما زوجها أكثر من كلّ الناس، حتّى إني كنت أحيانا أشفق عليه أكثر من شفقتي على نفسي. لا شيء يوقظ الكراهيّة مثل الفقر. وهو كان يكرهها، وقد أديت له خدمة بتركي تلك المرأة تموت**»(المصدر نفسه: ٨١)، فتفور كثرة ضمير التكلم والغائب المرتبط بالنساء في هذا النص فقط، حيث إذا نحاسب عدد الضمائر للتكلم والغائب في النص نفسه فقط فنجد أنّ عددها يكون ١٨ ضميرا. فتشير هذه الإحصائية إلى منتهى تفرد النساء وتوحدهن في المجتمع، حيث تفقد منزلتهنّ في المجتمع فليست لهنّ منزلة اجتماعية، بل تسود سيادة الرجل عليها بواسطة الرأسمالية التي تكون آلية السلطة. فخلق هذا الخطاب معاني الأنانية والاستغلال والظلم للفقراء من خلال تنفيذ السلطة في العلاقات الاجتماعية.

إضافة إلى إحصائية الضمائر، نرى تنفيذ السلطة من خلال العلاقة الاجتماعية الزوجية في قناع الرأسمالية التي تخلق الرأسمالية كمؤسسة وإيدئولوجية الحقائق الجديدة، وهي إذلال الفقراء والسلوك معهم بأي شكل من الأشكال التي يذلهم. فيشحن النص بألفاظ وأساليب في تحقير النساء، وإذلالهن، وعدم المنزلة الاجتماعية لهن أكثر بكثير. كما تطغى الرأسمالية لدرجة أن المرأة الثرية ذات الأموال قام بتحقير من في خدمتها، حيث تكون لذتها إذلال الناس حتى زوجها. وربما يرجع تحقير الزوج من قبل زوجته إلى الرأسمالية وإظهار رؤية النساء التشاؤمية حول الرجال. فنرى أن السلطة ترتبط

كثيرة بالرأسمالية، لدرجة إذا كانت المرأة ثرية، فقامت بتنفيذ السلطة على الرجل الفقر من خلال العلاقة الاجتماعية والمنزلة الاجتماعية، ولو كان زوجها. وإذا كان الرجل ثريا، فقام بتنفيذ السلطة على المرأة الفقيرة، ولو كانت زوجته.

إنّ سقوط الأخلاق والظلم والسلطة نتيجة الرأسمالية في الرواية شديد إلى حد أشارت الروائية في مقطع آخر إلى أنّ أمّ تُزوّجُ ابنتَها الصغيرة بإجبار مع رجل ثري لاكتساب الأموال، فتؤدّي إلى طلاق ابنتها ومصائبها، حتي تهاجر إلى أوروبا: «**صرت أتذكر، من ألمي وقهري، أن أمي كانت سبب زواجي التعس، وأنا بعد لم أتمّ الرابعة عشرة. وهي لم تغفر لي طلاقي، ولا أنت، بل كنتما سبب هجرتي إلى هذا البلد، وعملي خادمة في بيوت الناس، وفي تنظيف وسخ بشر لا أعرفهم، في حمامات المطاعم وغرف الفنادق**»(المصدر نفسه: ٧٧)، فتفور كثرة ضمير التكلم المرتبط بالنساء في هذا النص فقط، حيث إذا نحاسب عدد الضمائر للتكلم في النص نفسه فقط، فنجد أنّ عددها يكون ١٤ ضميرا للمرأة. فتشير هذه الإحصائية إلى منتهى تفرد النساء وتوحدهن في المجتمع، حيث تفقد منزلتهنّ في المجتمع وليست لهن منزلة اجتماعية، بل تسود سيادة الرجال عليهن بواسطة الرأسمالية. وإضافة إلى إحصائية الضمائر نرى وجود السلطة في العلاقة الاجتماعية بين هذا الثري وهذا الفقير الخادم الذي يخدم الثري الغريب للحصول على الأموال. فيشحن النص بألفاظ وأساليب وأسماء وصفات في تحقير النساء وإذلالهن وإنجازهن بالخدمة وعدم المنزلة الاجتماعية لهن أكثر بكثير. فتملك رؤية تشاؤمية في المجتمع. وهذا يظهر من خلال استخدام ألفاظ «ألمي، قهري، التعس، الطلاق، هجرتي، خادمة، تنظيف وسخ البشر» على لسان المرأة المطلّقة. ثم تشير على لسان هذه المرأة التي تعدّ أمّه سبب كلّ مصائبها وآلامها واضطهادها: «**بما أن أمي أمي الّتي هي أمي بدأت تضطهدني**» (المصدر نفسه: ص٧٨).

فيمثّل تحليل النقدى للخطاب في هذا النموذج، في لغة الروائية المستخدمة المنعكسة فكرته ورؤيته، فتكرار لفظ «أمي» للدلالة على شدة معاناته وعلى أن الاضطهاد داخليا، وأصابتها من جانب الأم. فنرى وجود الرأسمالية في هذا النموذج الروائي وتوظيفها عند الأثرياء الذين يوظفون السلطة من خلال الرأسمالية على الفقراء؛ لأن الرأسمالية والسيادة الناتجة عنها تسود على المجتمع اللبناني، حيث تبين الرواية سيادة الرجال على النساء، وسيادة الأثرياء على الفقراء؛ وسيادة الحكوميين على مواطنيهم، حيث اقتضت هذه السيادة عدم الحوار بين الطبقات المختلفة التي ليست بينها مساوات اجتماعية منزلةً؛ لأن الحوار يشير بنوع إلى المساوات، ولكن في المجتمع الحالي اللبناني تقتضي السيادةُ إطاعةَ وخدمةَ النساء والفقراء والمواطنين للرجال والأثرياء والحكام دون الكلام والاعتراض والرد؛ لأن طبقة الرجال والأثرياء والحكام سائدة، فيديرون أوضاع المجتمع وأحداثه. فإن هذه الطبقة أرباب ورؤساء طبقة النساء والفقراء والمواطنين، حيث تخدم الطبقةُ الثانية الطبقةَ الأولى الأرفع إلى حد تُحقِّر الطبقةُ السائدة النساءَ والفقراءَ والمواطنين. فيتغيّر دور السلطة والقدرة في علاقات السلطة وفق الرأسمالية، كما نشير إلى هذا الأمر أن المرأة الثرية تجري السلطة على الرجل الفقير،

ويجري الرجل الثري السلطة على المرأة الفقيرة، فتشترك السلطة بين المشاركين، حيث يتحول هذا الدور من طبقة أو شخص إلى طبقة أخرى أو شخص آخر، فتُظهر القدرة خلال المشاركة اللغوية منزلةَ المشاركين من الرؤساء والمرؤسيين أو الخادمين(فركلاف، ٢٠١٦: ٢٠٤؛ زارع والآخرون، ١٣٩٩ش: ١٥٤). كما تظهر هذه السلطة في الرواية من جهة أخرى، من خلال عدم الحوار مع الآخرين، وتكلم الشخصيات مع أنفسهم من خلال الرسالات الخمسة أيضا. فأبرز الموضوع في الرواية تقابلُ الثروة والفقر والموت والحياة والرجال والنساء لإظهار التضاد بين الأثرياء والفقراء ووجود الصراعات بينهما، حتى توجد السلطة في المجتمع من خلال هذه الصراعات في العلاقات الاجتماعية حسب المنزلة الاجتماعية.

ثمّ تبيع هذه الأم حفيدتَها أيضا نتيجة جشعها الشديد بالمال، بعد أن تهاجر أمها إلى أوروبا لكسب رأسمال: «**لاأستطيع أن أصدق أن هذا كله سببه المال أو جشعك**...» (المصدر نفسه: ٨٢). وشاعت هذه المسألة إلى حد أنّ العائلة أيضا قامت بإجراء السلطة على البنات، وباعتها كآلات جنسية إلى الأثرياء لاكتساب الأموال، فتروي الروائية هذا في الرواية من مهاجرة هاجرت إلى بلد أوروبي، وتركت ابنتها عند جدتها، فتبيعها جدتها برجل ثري في قالب الزواج: «**رحت أسأل أمي لماذا باعت البنت وأنا أرسل إليها الكثير من المال**»(المصدر نفسه: ٨٠). فتظهر الجشع الشديد بالمال رغم أن أم البنت أرسلت المال الكثير لبنتها. نرى وجود السلطة في هذا النموذج أيضا من خلال العلاقات الاجتماعية وفق عقيدة فوكو الذي يرى أن العلاقة بين الأب والابن أو الزوج والزوجة وغير ذلك تنظم السلطة من خلال الخداع أو تأثير واحد منهما على الآخر حى يدفعه بالقيام بأمر يريده صاحب السلطة، فيحظي الأب والأمّ سلطة تجاه أولادهما أو يحظي المعلم والأستاذ سلطة تجاه طلابهم وتلاميذهم، إما سلطة سلبية تؤدي إلى إساءة استخدام من تحت السلطة، وإما سلطة إيجابية تؤدّي النمو والتطوير لمن في السلطة. كما نرى وجود نوع من المقاومة عند المهاجرة مقابل أمها التي باعت بنتها في قالب الزواج إلى رجل ثري، فوبختها نتيجة القدرة التي تمكلها مقابل أمها.

فتربط الروائية الرأسمالية بسقوط الأخلاقيات، كما يعتقد بالمر أن الرأسمالية تسبّب إيجاد تناقضات أخلاقيّة وسقوط الأخلاق، فحسب تعبير برنارد ماندفيل، أنّ الرذائل الفردية يمكنها أن تنتج منافع عامة. أكد منتقدوا السوق على هذه الشكوك الأخلاقية دائمًا وقد قامت الحركة الاشتراكية على مزاعم مفادها أنّ الرأسمالية تحضّ على الأنانية والاستغلال والعزلة والظلم(بالمر، ٢٠١٣م: صص٧٦-٧٧).

٢-٤. نظام العائلة وسيادة الرجل

إن العائلة واحدة من الأنظمة التي تشير إليها الروائيّة وتعبر فيها عن سيادة الأب عامة وسيادة الرجل خاصّة. يعتقد

هوركهايمر من منظري مكتبة فرانكفورت التي يهدف إلى استخلاص الإنسان من السلطة والعبودية، أن القدرة في المرحلة الأولى تنشأ من العائلة، فتظهر فيها قدرة الأدب على زوجته وأبناءه. فالعائلة في اعتقاده واحدٌ من أهم أنظمة التربية لنوع خاص من السلوك الاقتداري الذي اقتضاه النظام البرجوازي. فالعائلة في شبكة القدرة ذات مكانة عليا وهي عنصر مستخدمي مهم في العلاقات المختلفة التي يخلق من جانبها سلوكا اقتداريا متناسبا مع الرأسمالية(ميلر، ١٣٨٢ش: ص٥٠-٥١) ثم انتقلت القدرة من العائلة إلى الحكومة التي يحكم أعضاء العائلة.

هذا شيء أشارت إليه الروائية في رواية «بريد الليل» بأن الأب ذو سلطة في العائلة، حيث ضرب أولاده للتربيّة مع أنه فقير، فتربطها الروائيّة بمسألة الرأسماليّة والفقر: «**لا أدري الآن إن كان ضرب أبي المتكرر بالحزام الجلدي أو بالعصاء قد أفادني أم أنه على العكس كان يراكم داخلي نوعا من الغضب... كان يضربني دائما أمام الناس ليرى الناس أنه يضربني، وأنه يربّي ابنه، وأنه صحيح رجل فقير، لكنه محترم، ويعتني بأسرته**» (بركات، ٢٠١٩م: ص٥١). نرى في هذا النموذج أن ظروف المجتمع كسيادة الرجل على الزوجة والأولاد تؤثّر على اللغة الروائية وخطابها، حيث تذكر هذا الأمرَ في الرواية لتؤثّر لغتها الروائية وخطابها أيضا على المجتمع الذي تسعى إلى كسر معيار سيادة الرجل والظلم بالنساء. فتقوم بتحوّل المجتمع إلى المساوات وإزالة الظلم. ونرى وجود السلطة من خلال العلاقات العائلية الاجتماعية في هذا النموذج، حيث يقوم الأب بتنفيذ السلطة السلبية على الأولاد من خلال هذه العلاقة واللجوء إلى الخداع ليخدع الناس ويرى بأنه يربّي الأولاد ليحترمونه، فضربهم. نرى أيضا وجود نوع من المقاومة من خلال خطاب «كان يراكم داخلي نوعا من الغضب». الظلم بالنساء مسألة شحنت الروائية روايتَها منها، فذكرت أن أمّ العائلة خادمة الأب من خلال تنفيذ السلطة في العلاقة الزوجية. فإذا قام الأب بضرب الأبناء، لاتُسمَحُ الأمُّ بالاعتراض، حيث إنها كزوجها أجرت سلطتها على أبناءها، ولاسيما على بناتها، وأعربت عن تنفرها بالبنات؛ لأنها تولد الأنثى غير الذكر؛ ولأنها تحبّ الأبناء الذكور. فطردتها وتزوجتها بإجبار مع رجل ثري لاكتساب رأس المال. فيروي الراوي: «**راح كلام أمي يدور في رأسي. ألم تقم ببيعي لزوجي في مقابل المهر الذي جهّز وأراح رجال العائلة؟**» (المصدر نفسه: ص٧٧). شاعت هذه المسألة إلى حد أن هذه البنات أو النساء المطرودة اضطرت بالمهاجرة والقيام بالخدمة عند الأثرياء لاكتساب الأموال. فتهيّئ الفرصة للأثرياء لتنفيذ السلطة في هذه العلاقات الاجتماعية التي تؤدّي إلى القيام معها بالعلاقات الجنسية ولو بالعنف.

إن الجنسية واحدة من الآليات في إجراء السلطة والقدرة وفق عقيدة فوكو، حيث قام السياسيون بإجراء السلطة على البشر خاصّة على النساء بوصفها آلة جنسية قاموا بالعلاقة الجنسية معها، وسلكوا معها بعنف، فالجنسية والعلاقة الجنسية عند فوكو مسألة محورية؛ لأن محوريتها تكمن في طيف الاستراتيجات التي توفر معرفة المعايير والقيم السياسية

التي تنظِّم وتسوِّغ سلوكيات البشر في محورها(ميلر، ١٣٨٢ش: صص٢٤٦-٢٥٠).

تشير الروائية في مقطع إلى أن العائلة ولاسيما الأب، شردت ابنتها وفق جنسيتها وفق معايير المجتمع وظروفه الذي لايعطي النساءَ منزلةً اجتماعية، بل جعلهن ما دون الرجال، فيعطي الرجال سلطة للقيام بها على النساء. فعبرت الروائية عن هذا، وينقد المجتمع البشري نقدا نسويا. وأشارت إلى سيادة الرجل في المجتمع وعدم مكانة المرأة، وعدم مراعاة حقوقها، حتّى في العائلة التي تلدها. فسلب أبوها وأمها هويتَها؛ لأنها ليست ذكرا يحبانه، بل أنثى غير محبوبة وفق معايير المجتمع التي تحكم عليها سيادةُ الرجل، فشرداها، حتى تجبر هذه المرأة بالمهاجرة عن الوطن. فتعيش في بلدٍ يكون كلُّ مواطنيه غرباءُ لها، فاشمئزت من أمه إلى حد أنها إذا أخبرها أخوه من موت أمّها، تحسّ بالغضب العارم. وذكرت بأنها لمتنتقم من أمّها بعدُ. كما ذكرت الروائية في الرسالة الأولى: «**تلك المرأة قصفت عمري وشرّدتني في بلاد الله. البلاد التي سكانها غرباء ويتامى**» (بركات، ٢٠١٩م: ص١٧). نرى في هذا المقطع عدم المساوات الطبقية، والتضادات الاجتماعية، وفجواتها. فتسيطر سيادة الرجل على النص، حيث يكون الناس حتى العائلات ذوو رؤية سلبية للنساء التي ليست لهن في المجتمع منزلة اجتماعية إيجابية. وتوحي بهذا المعني بنية النص ومفرادته كفعل «شردتني»، وضمير الياء في هذا الفعل بصورة مفردة للدلالة على توحد النساء وتفردهنّ، وفعل «قصف» وانتسابه إلى العمر للإشارة إلى منتهى حياة المرأة، واسمَي «غرباء ويتامى» للتأكيد على توحد المرأة في المجتمع وعدم منزلتها فيه، حيث إنها كانت في الاجتماع بين الناس، ولكن يكون الناس غرباء لها، وهذا أشد التوحد والتفرد وأفجعه. كما استخدمت الروائية «في بلاد الله» بإتيان البلاد بصورة الجمع لكثرة البلاد للإشارة إلى المجتمع الإسلامي الذي يكون المرأة الإسلامية فيه متفردة تحت السلطة من خلال العلاقة الاجتماعية، رغم أن هذه البلاد كثيرة ووسيعة، ولكن المرأة ليست في أحد من هذه البلاد منزلة لتشير الروائية إلى منتهى مظلومية النساء وتنفيذ منتهى السلطة عليهن من قِبَل العائلات والرجال من خلال هذه العلاقات الاجتماعية التي يتعين المجتمع منزلة كل شخص فيه.

عرّبت الروائية في مقطع آخر عن ضياع النساء ونشأتهن بلا أهل لسيادة الرجل، وعدم الاعتناء بالنساء، وتنفيذ السلطة عليهنّ مستخدمة الأسلوب الاستفهامي الذي اعتنت به الروائية كثيرا في الرواية، حيث شحنتها بالكثير من الاستفهامات في المعاني المجازية كالنفي والإنكار والتوبيخ والتعجب وغير ذلك، فتذكر: «**لا حاجة إلى أن أذكرك بأني نشأت بلا أهل. ضاع أبي منّي، ... لا أعرف كيف يحبُّ الرجالُ النساءَ؟**» (المصدر نفسه: ١٣). فاستخدمت أداة كيف الاستفهاميّة في معنى التعجب والإنكار أو التوبيخ أو التأسف لتحقير النساء وعدم المنزلة لهنّ في المجتمع. وأشارت إلى أنّ الرجال لايحبون النساء إلى حد أن آباءها يضيعونهنّ، ولايهتمون بهنّ في ظل العائلة اهتماما يستحقهنّ. فنرى أنّ ألفاظ هذه الجملة المروية تتغير معانيها الثانويّة وفق السياق إلى معاني التعجب والإنكار والتوبيخ والتأسف، وهي

شاحنة إلى معاني انكسار نفس النساء بخاصة النساء اللبنانية وضياعهنّ. فاستخدمت في هذه الأمر استخدام أداة «لا» بالتكرار للإشارة إلى منتهى التشاؤم، ولنفي القيم السائدة في سيادة الرجال مع الجملة الفعلية الدالة على الاستمرار التجددي في الذكر وعدم المعرفة والحب، من خلال استخدام الألفاظ السلبية الدالة على التشاؤم على النساء والسلطة عليهن.

تحكي الروائية في موقف آخر أيضا باستخدام الاستفهام على لسان امرأة لم يعتن بها زوجها لغلبة سيادة الرجل على المجتمع، فتركها وعاشر مع النساء الأخرى، فخان زوجته، فنشأ في وجودها الحقدُ العارم، حيث انكسرت نفس المرأة، وتعبت روحيا، فتريد الروائية بنوع أن تعرّف بعض الرجال بالقيام بالخيانة على الزوجة بسبب طلب التنوع في المعاشرة مع النساء الأخرى دون أي تقييد، في حين أنّهم يريدون تقييدَ النساء، وهذا منتهى سيادة الرجال على النساء، وتحقيرهم، وعدم المنزلة لهن في المجتمع. فتحكي آلام هذه المرأة قائلة: «**لم أعد أعرف سوى حقدي العارم؛ سوى عنف رغبتي في الانتقام، حدّ القتل؛ قتله بيديّ... كيف تركني هكذا؟ كيف تركني؟... سأنام نوما عميقا... أرجو أن أنام نوما عميقا**» (المصدر نفسه: ١٠١ و١٠٧). فتوحي ألفاظ هذه العبارة بآلام هذه المرأة وانكسار نفسها وتعبها، حيث أسفت وحسرت بأن زوجها تركها مستخدمة الاستفهام للتحسر والتأسف. كما كررت الروائية العبارة الاستفهامية للإشارة إلى التأكيد في شدة آلامها وانكسار نفسها إلى حد تميل إلى الانتقام والنوم العميق بالاستمرار والتجدد بسبب وجود الجمل الفعلية المضارعية. كما استخدمت أسلوب الاستثناء للدلالة على أنّ هذه المرأة بعد تحولات تتغير، حيث تعرف الحقد والعنف فقط بعد هذه التحولات. إضافة إلى ذلك لفظ «نوما» يدلّ على موت الروح ولو حيَّ الجسد وانكسار النفس والتعب العظيم لإتيان لفظة نوم بصورة التنكير للدلالة على التفخيم والعظمة. فأكدته الروائية بصفة «عميقا» للدلالة على منتهى موت الروح، وعظمة انكسار النفس، والتعب العميق والشديد. كما كرّرت الروائية أيضا فعل «تركني» للدلالة على تفرد المرأة في المجتمع وعدم المنزلة لها فيه مع التأكيد. علاوة على هذا استخدمت الروائية ألفاظ «حقدي العارم، عنف، الانتقام، القتل» لتشير أيضا إلى تفرد المرأة وتوحدها في المجتمع، حتى أصابت بالأمراض الروحية والأحقاد العارمة مستخدمة هذه الألفاظ في مستوى الوصف لوصف آلامها، وأحقادها من خلال استخدام الأسماء والصفات أكثر من الأفعال.

٣-٤. الحكومة

إن الحكومة كمرحلة انتقلت القدرة من العائلة إليها، فأجرت القدرة على من في خدمتها أو يعارضها. فتؤثر المجتمع الحكومي اللبناني على لغة الروائية، حيث قامت بالبحث عنه في روايتها هذه، كما تؤثر لغتها وخطابها على المجتمع

الحكومي اللبناني الذي تسعى إلى إزالة الظلم والاندساس والدكتاتورية وتغيير المجتمع نحو النمو والتطور وتوفّر الحريّة، فتحكي الروائية: «**لم يقل لي أحد لماذا أتى العساكر، وأخذوني من البيت. بدأوا بالضرب من دون أسئلة أو تحقيق أو تهمة... نقلوني بعدها في سيارة إلى زنزانة... كانوا يبولون عليّ ويتغوّطون أيضا**» (المصدر نفسه: ص٥٤-٥٥). فيدل هذا النص إلى حكومة دكتاتوريّة قامت بإلقاء القبض والتعذيب دون أسئلة أو تحقيق أو تهمة. وتحاول الروائية من خلالها كسر هذه المعايير السائدة الحكومية. كما تدل ألفاظ «أخذوني، الضرب، زنزانة» في البنية السلطوية إلى منتهى السلطة من قبل الحكومة على الناس. فتقوم الحكومة وعساكرها بتحقيرهم إلى حد يبولون ويتغوطون عليهم وهذا منتهى الحقارة والسلطة عليهم. وتمت هذه السلطة الحكومي من خلال العلاقة الاجتماعية وإنتاج هذه الحقيقة بأن الحكومة وأصحابها يمكن لها الإنجاز بأي أعمال لتنفيذ النظم. فلجأت للسلطة على الناس إلى الخداع. وتشير عبارة «لميقل لى أحد» إلى أن الناس لا يقولون شيئا، ولايعترضون من هذه الوضعية الحاكمة لمخافة إلقاء القبض والزنزان، حتى يثوروا، فتوبخهم الروائية، وتدعوهم إلى أن يثوروا.

في مقطع آخر تشير الروائية إلى أن الحكومة أجرت القدرة على من في السجن وتراقبه بوسيلة المخابرات، حتّى تحولّه خادما لهم، حيث يطيعهم دون الأسئلة والبحث. فوفق عقيدة فوكو إن السجن أداة سلطة وقمع عند السياسيين في تعذيب المعارضين، وتحويلهم إلى موافقيهم، وتابعيهم كعبيديهم؛ لأن طريقة المراقبة والجزاء قد تغيرت في المعاصر من التعذيب الجسدي إلى التعذيب الروحي. فيجري السياسيون السلطة على روح البشر وبالتالي جسده. وهذه المراقبة بطريقة غير حسية وغير مرئية من قِبَل أشخاص تحت السلطة والمسجونين. كما نرى في الرواية أن المسجونين لاترون أن السجانين يراقبونهم مع المخابرات وآلة التصوير أو الكاميرا، فتشير الروائية متمثلا وجهة نظر فوكو: «**قلت لهم: أريد أن أعترف. أنا بالفعل كذبت عليكم، وقمت بكل ما تتهمونني به. قالوا يجب أن تبرهن على صدقك وتوبتك. قلت: أبرهن. قالوا: تتعاون معنا، وتفعل كل ما نأمرك به. ونحن نراقبك وسنعرف. ذهبت إلى أبعد مما توقعوه مني. ليس من السهل إقناعهم بأني صرت خادمهم... وشيئا فشيئا صرت أستلذ بقوتي. أستطعم لذة تحولي العجيب، وكيف صرت أنا من يرهب الخليقة، فيصبح الناس عند قدميّ كالجرزان المصعوقة وينادونني «سيّدي»... كان من الأفضل أن أصدق أقوال أسيادي ورؤسائي وتعاليمهم**» (المصدر نفسه: ص٥٥-٥٦) و«**الرسالة التي وجدتها ففي دليل الفندق حيّرتني كثيرا. إنها تتحدث عن شاب... أتصوّر أنه في السجن مثلا. بعد أن توهّم أن مخابرات بلده الأصلي تراقبه، فذهب إلى رجلها وانتهى الأمر بكارثة، لذا لم ينه الرجل رسالته**» (المصدر نفسه: ٣٢). فاستخدمت الروائية الاستفهام التعجبي مع أداة «كيف» للإشارة إلى خدمة الناس وراء العساكر الحكوميين، وخوفهم، وإطاعتهم لدرجة أنهم ينادونهم بالسيد، ونسبوا سيادتهم هذه على أنفسهم من خلال خطاب يقولون: سيدي. فتتجلى من هنا نظرية

فوكو حول السلطة التي يعتقد أنها تجري على الناس بالتوافق والانقياد. كما نرى أن الذين يكونون تحت السلطة، ينادون رؤساءهم بـ«سيدي» بالانقياد والانفعال. أضاف فوكو «حول أشكال الخطاب والممارسة والاستراتيجيات الخاصة بالسلطة مايتعلق بقوله: «إن أنظمة السلطة وبطريقة ما تشجع الناس على تنظيم أنفسهم، دون تهديد فعّال بالعقاب، فنحن نستدمج في داخلنا نظرة محدّقة إداريّة تراقبنا وتجعلنا نتصارع بطريقة معينة. فإن مجتمعنا الحالي هو مجتمع المراقبة؛ لأننا موجودون داخل منظومة الرؤية الكليّة الخاصّة بالمراقبة» (أبوغنيمة، ٢٠١٩م: ص٧٦)، وهذه المراقبة تحيطنا من كل طرف مع نظرة خفية يرانا المدير من مركز المراقبة، حيث يعلم كل الأعمال التي أنجزنا، دون أن نراه، مع هذا ندرك أننا تحت المراقبة بسبب شموليّة الوسائل الرقابية، حيث لايخفى أي شيء وراءه، كما أن مدير المركز نفسه تحت مراقبة السلطات الأعلى، فيكون تحت النظرة والمراقبة من قبل رؤساءه، كما أنهم أيضا يكونون تحت المراقبة من قبل رؤساءهم الأعلى في شبكة العلاقات من القدرة التي تشمل كل أرجاء المجتمع وتجعل كل الناس تحت سلطته، فالمراقبة الشمولية في الحداثة هي آلية الحصول على القدرة والتحكم (فوكو، ١٤٠١ش: ٢٥٤ و ٢٥٧).

وفي موقف آخر تشير الروائية باستخدام النداء والتكرار على لسان رجل إلى أنه التحق بالنظام الحكومي نتيجة فساد المجتمع، وخداع النظام الحكومي، فعذّب مواطنيه في السجن، وقتل بعضهم، حتى يثور من في السجن. ففرّ ذلك الرجل بالصعوبة. وهاجر إلى بلد أوروبي وشرّد فيه وأصاب بالفقر المدقع. ففي النهاية لحق بامرأة أوروبية ثريّة مومس عاهر تركها عشيقُها وسرق أموالها وفرّ. ويتعاشق هذا الرجل المهاجر بها نتيجة خوفه بإلقاء القبض عليه بواسطة الأشرطة الأوروبيين وإرادته بالإبقاء عندها في بيتها، فخدع المرأة. وتتعاشق المرأة أيضا به. فناما في سرير واحد. فجأة أرادت المرأة القيام بالعلاقة الجنسيّة مع الرجل. فتنزع ثيابه الداخلية بوقاحة كثيرة دون أقلّ خجل. فتغنجت ودلّلت، في حين خجل هذا الرجل من عمل المرأة الوقيحة نتيجة ثقافته ورؤيته الإسلاميّة. فندم الرجل ويرى نفسه في معصية وجحيم ومهلكة أكثر من قبل. فيروي الراوي مستخدما النداء مكررا لإظهار شدّة ندامته وإلقاءه في مصيبة أكثر من قبل: «**يا إلهي يا إلهي ماذا فعلت بنفسي. أيّ جحيم يومي ألتقيت بنفسي في نيرانه وسرت إليه برجليّ... كانت ابتسامتها الرؤوفة ذات الشارب، حركات الغواية التي تخجل بها بنت العشرين**» (بركات، ٢٠١٩م: ص٦٥). فاستخدم الراوي النداء والتكرار والاستفهام التحسري واستخدام الألفاظ التشاؤمي والتحسري للدلالة على منتهى مصائبه. مكر الرجل في النهاية، وقتل المرأة المومس عند النوم معها في السرير. فسرق أموالها، وتركها قبل أن دفنها. ويذكر بعد الفرار أمَّه عند آلامه ومصائبه. وكتب له رسالة قائلا أن: «**أمي الحبيبة. هو المساء ينزل إلى المدينة**» (المصدر نفسه: ص٦٨) للدلالة على انكسار النفس، وشدّة المصائب، والموت الذي لحق بالمدينة. فلفظ «المساء» يوحي بمنتهى الحياة والموت، كما يدل في معناه المتعارف على منتهى اليوم. وربما يرمز الراوي من «أمي» استعارة مصرحة إلى وطنه الذي يذكره المهاجر

التعيس في المهاجرة التي يعبر عن حنينه إليه. فبدأت آلامه من جديد وبنوع يدعو البلاد العربيّة كافّة إلى الاتحاد والمقاومة وراء الاستبداديين والدكتاتوريين الذين سلبوا هوية المواطنين وطردوهم من بلدهم وشردوهم وسبّبوا تحويلهم إلى العبيدين في البلاد الأوروبية. علاوة على هذا يذكر صفة «الحبيبة» للإشارة إلى حبه وحنينه الكثير إلى وطنه ويعبّر عن خنقه نتيجة هذه المهاجرة.

تتمثل هذه النماذج السلطوية لنا نظرية فوكو حول السلطة وارتباطها بالخداع والمكر والانقياد والعلاقات الاجتماعية، كما نرى في هذه الأمثلة الأخيرة مكر زوج المرأة الأوروبية العاهر من خلال العلاقات الاجتماعية التي تصاحب السلطةَ، حتى سرق أموالها، ثم مكر وخداع الرجل المهاجر في بين هذه المرأة الأوروبية، حتى قام بقتلها وسرقة أموالها. فنرى تبادل السلطة بين الإمرأة العاهر المومس والرجل المهاجر وفق عقيدة فوكو بأن السلطة ليس عند واحد من طرفي الخطاب فقط. فيشير هذان الخداعان من قبل الرجلين على مرأة واحدة، إلى منتهى السلطة على النساء، وخداعهن. وفي هذا الصدد يرى عكاشة أن «العجيب أن لغة الخطاب السياسي تغيرت، وظهرت أساليب جديدة وألفاظ منمقة تشعر بالود والتراحم والألفة والمساواة، واستخدم معجم الأسرة: الإخوة والأخوات والأبناء وشباب بلادي، وقد نزل خطاب التعالي إلى درجة الود، وطرحت مفردات المعجم الديني المهجور، ومفردات الأخلاق والفضيلة والوفاء والحب والأيمان التي توحي بأنه غير ثقة عندهم»(عكاشة، ٢٠١٦م: ٧٦) و«قد تقوم لغة الخطاب على التغرير، وهو إغراء المخاطب بشيء غير واقعي، وإيهامه بما ليس كائنا، وهو أشد كذبا من سابقه»(م.ن: ٥٣)، و«القصد من الخطاب السياسي الهيمنة والإذعان المطلق وتحقيق المصالح وإصابة الأهداف والاستقطاب والتوجيه نحو الأهداف فضلا عن تقويض الخطاب المعارض، وتوظف لهذا الوسائل اللغوية التأثيرية والإقناعية والإعلامية والاقتصادية والضغط السياسي، وقد تسرف في ممارسة الضغط وتحتمي بالمصلحة العليا، وقد تغالط بتبرير الإخفاقات والأخطاء والإسراف في الممارسات»(م.ن: ١٢).

وفي مقطع باستخدام التكرار للتّأكيد وإعطاء الأهميّة لكلّ ما ذكره ويدركه، تعبّر الروائية عن التكرارات للتأكيد وإظهار شدّة آلام المهاجرين وتحسّرهم وانكسار أنفسهم نتيجة الحروب الداخلية والاستبداد والظلم والبعد عن الوطن والفقر، حين يفتقد أغلى ما عندهم. فهم يجسّدون معاناتهم، واندحار هويتهم اللبنانية، وانعدام الحضارة الإنسانية من قِبَل قوى الاستبداد، فتروي شدة انكسار نفس رجل أتى العساكر وأخذوه من البيت، فسجنوه وعذبوه، فانكسرت نفسه نتيجة تشرده وتعذيبه وآلامه الملحقة، على لسان الرجل خطابا لأمه في رسالة مستخدما التكرار للتأكيد وإظهار شدّة آلامه: «**أنا مريض الآن. مريض في جسمي ومريض في روحي. ولم يعد من أمل في الشفاء. كل ما أحلم به هو الهرب كي لا أموت في السجن. أحلم بالهرب لأموت في العراء؛ لأنوس كالشمعة وأنطفئ في الفلاة، في صحراء**

الله الواسعة. بعدها يستسلم الشيطان روحي. روحي المريضة، وليفعل بها ما يشاء» (المصدر نفسه: ص٥٤). فيصف من خلال تكرار اسم "مريض" مع متعلّقاته، نفساً منكسرة مأيوسة من كل شيء. ومن خلال تكرار الهرب يجسّد لنا الفرار عن السجن والتخلص منه. كما تجسد لنا من خلال استخدام فعل المضارع «أحلم» صعوبة الهروب والفرار، لدرجة يحلم الرجل المسجون باستمرار، إضافة إلى أن صيغة هذا الفعل يشير إلى تفرد الرجل المسجون. ويشير الراوي من خلال استخدام الفعل المضارع «أنطفئ» أيضا إلى انكسار نفس الرجل ومنتهى حياته باستمرار. كما تجسد الروائية لنا باستخدام الفلاة والصحراء الواسعة أن الرجل وقع في مكان دون الماء والطعام حتى يقرب موته.

كما تحكي الروائية حكاية رجل مسجون –كما نشير إليها–، على يد العساكر، وعبّر عن اشتياقه إلى أمه التي بَعُدَ عنها. وأشار إلى تغير شكله وجسده إلى الهزيلة وسقوط أسنانه وصلع رأسه إلى حد لاتعرفه أمه. ثمّ يذكر أيّام الحرب والفوضى في وطنه الذي أخبار الموت فيه كثيرة، لدرجة شبّهت الروائية هذه الأخبار بالطريقة الاستعارة المصرحة بأمطار يمطر من السماء من حيث الكثرة وأيضا شبهها بحجارة من سجيل مستخدما التناص القرآني. فيروي: «**ففي أخبار الموت التي تمطرها السماء كحجارة من سجيّل**» (المصدر نفسه: ص٥٣). فأشار إلى كثرة الموت والفوضى الشديد وإلى أن مأمنا ليس في الوطن إلى حد أنه قلق من حالة أمه وموضعها. ويتمنى أن أمه مازالت في قيد الحياة، وهربت في الوقت المناسب من وطنها برّا أو بحرا.

٥. النتائج

وصلت إليه المقالة أن الخطاب في رواية «بريد الليل» يلعب دورا أساسيا في تحوّل ثقافة المجتمع، وفكرته السائدة، وإنتاج الحقيقة لتنفيذ السلطة من خلال العلاقات الاجتماعية التي يُنتجُ الخطابُ الحقيقةَ، وتُنتجُ الحقيقةُ السلطةَ وفق عقيدة فوكو. فمثلت بركات علاقة جدلية بين اللغة والخطاب والمجتمع والسلطة، فحاولت إلى أن تغيّر الأيديولوجيا الموجودة من خلال الخطاب والمفردات والجمل والتراكيب، حتى نشاهد في المستقبل تغيير الثّقافة وتحوّلها نحو الأمام. فلهذا تمتلئ الرواية بالأساليب المتنوعة المختلفة كعنصر التشبيه كأبرز أسلوب الرواية للإشارة إلى اشتراك المواطنين اللبنانيين في الآلام والمصائب وانكسار النفس والحقارة وطردهم وتشريدهم. فحرّكت الروائية قلوب اللبنانيين وتدعوهم إلى الاتحاد والمقاومة والثورة على الاستبداد وسيادة الرجل والرأسمالية بسبب هذه الآلام المشتركة، ليحصلوا على الحياة المترفة بعيدة عن الظلم والاستعمار. فاللغة سلطوية خداعية خطابية تظهر من خلال المفردات والتراكيب والتماسك النصي الذي يتّجهنا إلى تغيير قيم المجتمع مع قيم جديدة تعارض قيم الرأسماليّة التي تسبب سقوط الأخلاق. فنشاهد هذه السيطرة في خطاب هذه الرواية الّذي استطاع أن يقدّم للمجتمع اللبنانية أيدئولوجيا وفكرة جديدة تساعد المجتمع اللبناني أن يحول نحو

التطور الثقافي ورفع منزلة الإنسان، لهذا فقد وصفت الروائية جوَّ المجتمع الغالب من خلال الخطاب المتناسب مع أيديولوجيتها. فظهرت أيديولوجيا جديدة في الرواية تعارض الأيدئولوجيا السّائدة في المجتمع نتيجة هذه العلاقة الدّيالكتيكيّة بين اللغة أو الخطاب والمجتمع والسلطة ليحصل الناس على الحياة المترفة بعيدة عن الظلم والاستعمار وسيادة الرجل والرأسمالية. وأمّا بالنّسبة إلى فرض السّلطة، فيُمكن أن نقول أنّ جميع المعاني في هذه الرواية سلطويّة، فالروائية تستخدم المعاني السّلطويّة في جميع الرسائل الخمس لفرض السلطة لتغيير المجتمع وإصلاحه وتطويره. فالسّلطة في خطاب الرواية ليست من نوع السّلطة الكابتة في خطاب الروائية، بل هي سلطة مولّدة تسبّب ظهور أيديولوجيا جديدة في المجتمع، رغم أن السلطة عند الحكومة والرأسمالية والرجال كقناعات السلطة وفق فوكو سلبية جدا. فنشاهد أنّ الروائية تريد تغيير موازين السّلطة في المجتمع. فيلعب الخطاب في المجتمع دورا أساسيا في ظهور أيديولوجيا جديدة في المجتمع.

المصادر والمراجع

الكتب

١. بالمر، توم جي، (٢٠١٣م)، **أخلاقيات الرأسمالية**، ترجمة محمد فتحي خضر، القاهرة: مؤسسة هنداوي.

٢. بركة، بسام والآخرون، (٢٠٠٢م)، **مبادئ تحليل النصوص الأدبيّة**، القاهرة: دارنوبار.

٣. بيرو، فرنسوا، (١٩٥٣م)، **هذه هي الرأسمالية**، ترجمة محمد عيتاني، بيروت: دار بيروت.

٤. الحمداوي، جميل، (٢٠١٤م)، **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، المغرب: أفريقا الشرق.

٥. خالفي، حسين، (٢٠١١م)، **البلاغة وتحليل الخطاب**، بيروت: دارالفارابي.

٦. العياشي، منذر، (٢٠٠٢م)، **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، لامك: مركز الإنماء الحضاري.

٧. عكاشة، محمود(٢٠١٦م)، **تحليل الأفعال الإنجازية في الخطاب السياسي**، القاهرة: دار النشر.

٨. فوكو، ميشيل، (٢٠٠٧م)، **نظام الخطاب**، ترجمة محمد سبيلا، بيروت: دار التنوير.

٩. فوكو، ميشيل، (١٤٠١ش)، **مراقبت و تنبيه؛ تولد زندان**، ترجمه نيكو سرخوش و افشين جهانديده، تهران: ني.

١٠. فيركلاف، نورمن، (٢٠٠٩م)، **تحليل الخطاب(التحليل النصي في البحث الاجتماعي)**، ترجمة طلال وهبة، بيروت: المنظمة العربية.

١١. فيركلاف، نورمن، (٢٠١٦م)، **اللغة والسلطة**، ترجمة محمد عناني، القاهرة: المركز القومي.

١٢. لنين، فلاديمير، (لاتا)، **الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية**، ترجمة راشد البراوي، القاهرة: مكتبة النهضة المصريّة.

١٣. مرتاض، عبدالملك، (١٩٩٨م)، **في نظرية الرواية(بحث في تقنّيات السرد)**، الكويت: علم المعرفة.
١٤. ميلر، پيتر. (١٣٨٢ش). **سوژه، استيلا و قدرت در نگاه هوركهايمر، ماركوزه، هربرماس و فوكو**، ترجمة نيكو سرخوش و افشين جهانديده، طهران: نى.
١٥. يورگنسن، ماريان وفيليبس لوئيز، (١٣٨٩ش)، **تحليل الخطاب**، ترجمة هادي جليلي، طهران: ني.
١٦. يوسف، آمنة، (٢٠١٥م)، **تقنيات السرد في النظرية والتطبيق**، بيروت: الموسسة العربية.

الرسائل والأطاريح

١. عارفي، احمد، (٢٠٢٤م)، **الواقع الفائق والسلطة في رواية «شيفا؛ مخطوطة القرن الصغير» لعبدالرزاق طواهرية وفقا لنظريتي جان بودريار وميشيل فوكو ما بعد الحداثية**، أطروحة الدكتوراه، طهران: جامعة العلامة الطباطبايي.

المقالات

١. أبوغنيمة، هدى، (٢٠١٩م)، فانتازيا الرؤية المستقبليّة؛ رواية حرب الكلب الثانية لإبراهيم نصرالله أنموذجا، *مجلة الأفكار*، العدد ٣٦٠، صص٧٣-٧٦.
٢. خداوردي، سميّة والآخرون، (١٤٠٠ش)، تجليات الميتاسرد في رواية «بريد الليل». *فصلية لسان مبين العلمية*، السنة الثانية عشرة، العدد الرابع والأربعون، صص٥٣-٧٠.
٣. رحمانى، عبدالرزاق وعلى حيدرى، (٢٠٢٠م). التحليل النقدي للخطاب في سورة المدثّر على أساس نظريّة نورمن فيركلاف، *مجلة علوم اللغة العذبية وآدابها*، المجلد١٢، العدد١، صص٩-٢٤.
٤. زارع، ناصر والآخرين، (١٣٩٩ش)، تحليل گفتمان رمان «الحرب في بر مصر» اثر يوسف القعيد(بر اساس نظريه تحليل گفتمان انتقادى نورمن فزكلاف)، مجلة *زبان و ادبيات عربى*، السنة ١٢، العدد١، صص١٤٦-١٦٠.
٥. سلطانى، على أصغر، (١٣٨٤ش)، تحليل گفتمان به مثابه نظريه و روش. مجلة *علوم سياسى*، السنة٧، العدد٢٨، صص١٥٣-١٨٠.
٦. شيرازى، حسن، (١٣٨٧ش)، چيستى وچگونگى تحقيقات كيفي روش تحليل گفتمان، *مجلة نگرش راهبردى*، العدد٩٣و٩٤، صص٥٦-٨٩.
٧. فاضلي، محمد، (١٣٨٣ش)، گفتمان و تحليل گفتمان انتقادى، مجلة *پژوهشنامه علوم انسانى و اجتماعى*، السنة ١٠، العدد١، صص٨١-١٠٦.

٨. فتاحي، سيدمهدي، (١٣٨٧ش)، گفتمان قدرت در انديشه ميشل فوكو، *مجلة دانشنامه*، العدد٤، صص٦٥-٧٣.

٩. كاظمي، پريسا، (١٤٠٠ش)، تحليل انتقادى گفتمان مجموعه اشعار «الحبيب الافتراضي» غادة السمان بر اساس الگوى نورمن فركلاف، مجلة *زبان و ادبيات عربى*، السنة ١٣، العدد الرابع، ٦٣-٨٣.

١٠. ميرحاجي، حميد رضا وامير مسگر، (١٤٤٢ق)، الخطاب والتحول المجتمع الثقافي، من منظار تحليل الخطاب النقدي لفيركلاف، دراسة سورة «الإخلاص» نموذجا، *آفاق الحضارة الإسلاميّة*، السنة ٢٣، العدد ٢، صص٢٩٩-٣٢٦.

References

Books

1. Al-Ayashi, Munther, (2002), Stylistics and Discourse Analysis, Lamec: Center for Civilizational Development.
2. Akasha, Mahmoud (2016), Analysis of Performative Verbs in Political Discourse, Cairo: Dar Al-Nashr.
3. Baraka, Bassam and others, (2002), Principles of Literary Text Analysis, Cairo: Darnobar.
4. Fairclough, Norman, (2009), Discourse Analysis (Textual Analysis in Social Research), translated by Talal Wahba, Beirut: Arab Organization.
5. Fairclough, Norman, (2016), Language and Power, translated by Muhammad Anani, Cairo: National Center.
6. Foucault, Michel, (2007), The System of Discourse, translated by Muhammad Sabila, Beirut: Dar Al-Tanweer.
7. Foucault, Michel, (1401 AH), Monitoring and Warning; Birth of Zendan, translated by Niko Sarkhoush and Afshin Jahandideh, Tehran: NI.
8. Al-Hamdawi, Jamil, (2014), From Arguments to New Rhetoric, Morocco: Africa of the East.
9. Jorgensen, Marianne and Philip Lewis, (1389 AH), Analysis of Discourse, translated by Hadi Jalili, Tehran: NI.
10. Khalfi, Hussein, (2011), Rhetoric and Discourse Analysis, Beirut: Dar Al-Farabi.
11. Lenin, Vladimir, (Latta), Colonialism is the Highest Stage of Capitalism, translated by Rashid Al-Barawy, Cairo: Egyptian Nahda Library.
12. Miller, Peter. (1382 AH). Sojeh, Estella and Ghadrat der Najah Horkheimer, Marcuse, Herbermas and Foucault, translated by Niko

Sarkhosh and Afshin Jahandideh, Tehran: No.
13. Murtad, Abdul Malik, (1998), On the Theory of the Novel (Research on Narrative Techniques), Kuwait: Epistemology.
14. Palmer, Tom J., (2013), The Ethics of Capitalism, translated by Muhammad Fathi Khader, Cairo: Hindawi Foundation.
15. Perrot, Francois, (1953), This is Capitalism, translated by Muhammad Itani, Beirut: Dar Beirut.
16. Youssef, Amina, (2015), Narrative Techniques in Theory and Application, Beirut: Arab Foundation.

Theses

1. Arefi, Ahmad, (2024), Super-Reality and Power in the Novel "Shifa; The Little Century Manuscript" by Abdul Razzaq Tawhariya According to the Postmodern Theories of Jean Baudrillard and Michel Foucault, PhD Thesis, Tehran: Allameh Tabatabai University.

Articles

1. Abu Ghanimat, Hoda, (2019), Fantasy of the Future Vision; The Novel The Second Dog War by Ibrahim Nasrallah as a Model, Al-Afkar Magazine, Issue 360, pp. 73-76.
2. Fazili, Muhammad, (1383 AH), Gaftman and Gaftman's Critical Analysis, Journal of Human and Social Sciences, Year 10, Issue 1, pp. 81-106.
3. Fattahi, Seyyed Mahdi, (1387 AH), A Critical Analysis of the Poems of "The Virtual Beloved" by Ghada Samman Based on the Thought of Norman Fairclough, Journal of Arabic Language and Literature, Year 13, Issue 4, pp. 63-83.
4. Kazemi, Parisa, (1400 AH), Critical Analysis of the Poetry Collection of "The Virtual Lover" by Ghada Al-Samman, on the Basis of Language, Norman Farclough, Zaban and Arabic Literature Magazine, Year 13, Issue Four, 63-83.
5. Khodawardi, Somaya and the Others, (1400 AH), Metanarrative Manifestations in the Novel "Night Mail." Lisan Mubin Scientific Quarterly, Twelfth Year, Issue Forty-Four, pp. 53-70.
6. Mirhaji, Hamid Reza and Amir Maskar, (1442 AH), Discourse and the Transformation of Cultural Society, from the Perspective of Critical

Discourse Analysis of Fairclough, Studying Surah "Al-Ikhlas" as a Model, Horizons of Islamic Civilization, Year 23, Issue 2, pp. 299-326.
7. Rahmani, Abdul Razzaq and Ali Haidari, (2020 AD). Critical analysis of the discourse in Surat Al-Muddaththir on the basis of Norman Fairclough's theory, Journal of the Arts of Language Sciences and Literature, Volume 12, Issue 1, pp. 9-24.
8. Shirazi, Hassan, (1387 AH), Chaisti and Chungji Investigations of the Qualitative Rosh Analysis of Gaftman, Negrish Rahbardi Magazine, Issues 93 and 94, pp. 56-89.
9. Soltani, Ali Asghar, (1384 A.H.), Guftman's analysis serves as a theory and theory. Journal of Political Science, Year 7, Issue 28, pp. 153-180.
10. Zaree, Nasser and the others, (1399 AH), Gaftman's analysis of "The War in Mainland Egypt" according to Yusuf al-Qa'id (the foundation of the theory of Gaftman's critical analysis by Norman Fezclaf), Zaban and Arab Literature Magazine, year 12, issue 1, pp. 146-160.

The Outburst of Capitalism, Patriarchy, and Government in the Novel "Night Post" by Hoda Barakat According to Michel Foucault's Critical Discourse Analysis

Ahmad Arefi*, Habibollah Yazdani

1. PhD in Arabic Language and Literature, Allameh Tabataba'i University, Tehran, Iran.
2. Instructor, Department of Arabic Language and Literature, Imam Mohammad Baqer Farhangian University of Teacher Education, Bojnourd, Iran.

Received date: 02.03.2025 Accepted date: 26.08.2025

Abstract

Critical discourse analysis seeks to examine the dialectical relationship between language, society, and domination in social relations between people according to their ideology. Foucault is the most prominent theorist of critical discourse analysis who made a significant contribution to the invention of critical discourse analysis, which introduced the concept of domination. He believes that language and discourse are more than tools for expressing thoughts, they are tools for domination. Therefore, people, especially politicians, attempt to exercise power over others through language and discourse. Barakat's novel "Night Post" tells the story of homeless Lebanese immigrants as a result of the social and political conditions prevailing in Lebanon, and criticizes the oppression of governments, patriarchy, and capitalism. This article examines the ideology of the novel "The Night Post" with a descriptive-analytical method using Michel Foucault's critical discourse analysis to conclude that the blessings of his novel are filled with diverse styles appropriate to the speaker's ideology, namely revealing the displacement and exile of the Lebanese and the oppression of them by governments and women by men as a result of the rise of capitalism in order to eliminate the oppression of governments and patriarchy and the oppression of women, through the use of simile as the most obvious style of the novel and the style of proclamation and repetition to emphasize the pains, humiliations and common displacements of the Lebanese, in order to stir the hearts of Lebanese compatriots and invite

* Corresponding author: Email: ahmad.arefi@yahoo.com

them to unity, resistance and revolution against the tyranny of governments, just as he calls on the hearts of women to revolution against patriarchy so that the Lebanese, especially women, can achieve a prosperous life. Capitalism, patriarchy, and government are influential factors that shape the dominant discourse in the novel, given the circumstances that forced the novelist to shape his main discourse. Thus, the novelist attempts to change the ideology that dominates Lebanese society through a language of discourse that is evident through words, sentences, and textual coherence, with new ideologies in conflict with the capitalist system, patriarchy, and the tyranny of governments.

Keywords: Hoda Barakat, The novel Of "Night Post", critical discourse analysis, Michal Focault, Ideologia

طغیان سرمایه‌داری و مردسالاری و حکومت در رمان «پست شبانه» از هدی برکات براساس تحلیل گفتمان انتقادی میشل فوکو

احمد عارفی*[۱]، حبیب الله یزدانی[۲]

۱- دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه علامه طباطبایی تهران، تهران، ایران
۲- مدرس گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه فرهنگیان امام محمد باقر(ع)، بجنورد، ایران

تاریخ دریافت: ۱۴۰۳/۱۲/۱۲ تاریخ پذیرش: ۱۴۰۴/۰۶/۰۴

چکیده

تحلیل گفتمان انتقادی درصدد بررسی رابطه دیالکتیکی بین زبان، جامعه و سلطه در روابط اجتماعی بین مردم طبق ایدئولوژی‌شان است. فوکو برجسته‌ترین نظریه‌پرداز تحلیل گفتمان انتقادی است که سهم بارزی در ابداع تحلیل گفتمان انتقادی دارد که مفهوم سلطه را در آن وارد کرد. او معتقد است که زبان و گفتمان، بیشتر از این‌که ابزار بیان افکار باشند، ابزار سلطه هستند. پس مردم به ویژه سیاست‌مداران، اقدام به اجرای قدرت بر دیگران از خلال زبان و گفتمان می‌کنند. رمان «پست شبانه» برکات، داستان مهاجران بی‌خانمان لبنانی در نتیجه شرایط اجتماعی و سیاسی حاکم بر لبنان را روایت می‌کند و ظلم حکومت‌ها و مردسالاری و سرمایه‌داری را انتقاد می‌کند. این مقاله با روش توصیفی تحلیلی با استفاده از تحلیل گفتمان انتقادی میشل فوکو به بررسی ایدئولوژی رمان «پست شبانه» می‌پردازد تا نتیجه بگیرد که برکات رمانش را آکنده از سبک‌های متنوع متناسب با ایدئولوژی گوینده یعنی آشکار نمودن آوارگی و غربت لبنانی‌ها و ظلم بر آنان از جانب حکومت‌ها و بر زنان از جانب مردان در اثر طغیان سرمایه‌داری جهت از بین بردن ستم حکومت‌ها و مرد سالاری و ستم بر زنان، از خلال کاربرد تشبیه به عنوان بارزترین سبک رمان و سبک منادا و تکرار جهت تاکید بر دردها، حقارت‌ها و آوارگی‌های مشترک لبنانی‌ها، نموده است تا قلب‌های هموطنان لبنانی را تحریک کرده و آنان را به اتحاد و مقاومت و انقلاب بر ضد استبداد حکومت‌ها دعوت کند، همانطور که قلب‌های زنان را جهت انقلاب بر ضد مردسالاری فرا می‌خواند تا لبنانی‌ها به خصوص زنان به زندگی مرفه دست یابند. سرمایه‌داری، مردسالاری و حکومت عوامل مؤثری هستند که با توجه به شرایطی که رمان‌نویس

*نویسنده مسئول: Email: ahmad.arefi@yahoo.com

را مجبور کرده گفتمان اصلی خود را شکل دهد، گفتمان غالب در رمان را شکل می‌دهند. پس رمان نویس سعی می‌کند تا ایدئولوژی حاکم بر جامعه لبنانی را به وسیله زبانی خطابی که از خلال واژگان و جمله‌ها و انسجام متنی نمایان است، با ایدئولوژی‌های جدیدی در تعارض با نظام سرمایه‌داری، مردسالاری و استبداد حکومت‌ها، تغییر دهد.

واژگان کلیدی: هدی برکات، رمان «پست شبانه»، تحلیل انتقادی گفتمان، میشل فوکو، ایدئولوژی.